شخصيات مؤثرة في التاريخ الصهيوني

موسى مونتيفيوري ودوره في احتلال فلسطين

إعداد

معتز عبد الرحمن

مقدم إلى

الأستاذ الدكتور: عيسى بريجية

1- تمهيد

لم تكن نشأة الكيان المغتصب المعروف حاليا بـ (دولة إسرائيل) محض صدفة أو نتاج جهود عشوائية عابرة، بل تطلبت زراعة هذا الكيان في الأرض المقدسة جهودا وتنظيما كبيرين انخرط فيهما ساسة غربيون ومؤسسات وأفراد يهود وغير يهود على مدار قرنين على الأقل لأجل تكوين بذرة هذا الوجود الدخيل، وشملت هذه الجهود الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية والبشرية، ويدخل في الجوانب البشرية تغيير الثقافة والمعتقد الديني وكذلك تطوير المهارات والتخصصات التي يتطلبها الاحتلال المستقبلي، مع توجيه فكر وطاقات تلك المجموعات البشرية نحو فلسطين، وهو ما يمكن وصفه إجمالا بـ(المشروع الصهيوني).

2- الصهيونية التوطينية

اتفقت أهداف الصهاينة واختلفت أدواتهم ومناهجهم الرامية لتحقيق ذات الأهداف، ولكل منهجية مؤسسات ورموز قاموا على خدمتها، وأحد تلك الأدوات والمنهجية هي (الصهيونية التوطينية)، وتعني صهيونية اليهودي الذي يرفض الهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها، ومع هذا يستمر في إدعاء الصهيونية، وتأخذ صهيونيته شكل دعم الدولية الصهيونية ماليا وسياسيا والمساهمة في توطين اليهود الآخرين.

ويعد (موسى مونتيفيوري) – شخصية هذا البحث – أحد رموز الصهيونية التوطينية، إذا أنه لم يهاجر إلى فلسطين، ولم يزرها في عمره الطويل (1784-1885) سوى سبع مرات، ورغم ذلك لعب دورا كبيرا في توطين اليهود في فلسطين، حتى أنه أسس أول حي يهودي خارج أسوار مدينة القدس القديمة، بجانب تأسيس مستوطنات زراعية في الجليل ويافا، ولا يمكن اختزال دور (مونتيفيوري) في هذا، فقد كانت مساعيه وآثارها أكبر بكثير.

3- تمكين (مونتيفيوري) لنفسه

كما يلاحظ في مسار (الصهيونية) في عقود ما قبل الاحتلال أنها كانت تعتمد لحد كبير على المكانة السياسية والاقتصادية لأفراد الصهاينة، وبالتالي يمكن اعتبار الجهود التي يبذلها الصهيوني في تمكين نفسه وتقوية وضعه السياسي والاقتصادي هي في حد ذاتها جهود في خدمة مشروع الدولة اليهودية المستقبلية.

ولد (مونتيفيوري) في بريطانيا لأسرة انجليزية ذات أصول إيطالية سفاردية، وبدأ عمله كسمسار في بورصة لندن وحقق ثراء سريعا، ارتبط بعائلة (روتشيلد) المالية عن طريق المصاهرة ليساعده ذلك في مجال أعماله، عمل بالسياسة فوصل إلى منصب عمدة لندن، وكان أول يهودي يحصل على لقب (سير)، كان من أوائل المشاركين في تأسيس البنوك الصناعية، وحقق ثروة هائلة مكنته من اعتزال العمل عام 1824 أي وعمره 40 عاما فقط.

4- (مونتيفيوري) متفرغا لخدمة الصهيونية

كرس (مونتيفيوري) جهوده بعد ذلك لخدمة أهداف الصهيونية في فلسطين، فاهتم بأوضاع الجماعات اليهودية في شرق أوروبا والعالم الإسلامي، فزار روسيا عامي 1846 و1872 لبحث حالتهم مع الحكومة القيصرية، كما زار المغرب عام 1863 ورومانيا عام 1867 لنفس الهدف، وقد أكسبته تلك الجهود الديبلوماسية احتراما كبيرا لا سيما لدى الحكومة البريطانية، إذا اعتبرت مساعيه متوافقة مع سياستها الاستعمارية، فتأييده للاستيطان اليهودي في فلسطين يساعد في تحويل تيار الهجرة المتدفق من شرق أوروبا إلى غربها بعيدا عن

بريطانيا، وكان هذا يصب في مصلحة الأثرياء اليهود المندمجين في الغرب لأن تيار الهجرة من الشرق إلى الغرب يهدد وضعهم الطبقي والحضاري في إنجلترا، كما يصب في مصلحة بريطانيا نفسها، لذلك كان من أهم اهتماماته تحويل اليهود إلى قطاع اقتصادي منتج عن طريق ربطهم بالأرض ومهنة الزراعة وإنشاء المستوطنات الزراعية وإدخال العلوم العصرية في المدارس اليهودية في شرق أوروبا، فعرقل هذا الهجرة من الشرق إلى الغرب ثم خدم مشاريع الاستيطان الصهيونية في فلسطين لاحقا.

ولم تكن علاقات (مونتيفيوري) الديبلوماسية في العالم الإسلامي أقل قوة وتأثيرا من علاقاته في الغرب، إذا كان على تواصل وثيق مع (محمد علي باشا)، وقدم له مشروع لتوطين اليهود في فلسطين عام 1838، يتضمن وضع متميز لليهود وقدر من الاستقلال الذاتي وتنمية المشاريع الزراعية والصناعية في فلسطين كي يتمكن اليهود من تحقيق الاعتماد على الذات، في مقابل تأسيس بنوك في المدن الرئيسية تقدم التسهيلات الائتمانية للمنطقة بأكملها، والتقى بـ(محمد علي باشا) مرة أخرى عام 1840 لبحث قضية دمشق، إلا أن جهوده تعثرت بسبب خروج (محمد علي باشا) من فلسطين تحت ضغط القوى العظمى.

ورغم ذلك، ظهر جانب آخر من قوة علاقات (مونتيفيوري) في العالم الإسلامي، إذ نجح في إقناع السلطان العثماني بمنح الامتيازات التي كان يتمتع بها الأجانب لليهود في سائر أرجاء الدولة العثمانية، وهو ما ساهم في تحويلهم إلى عنصر أجنبي منبت الصلة بالمنطقة وذي قابلية للتحول إلى جماعة وظيفية استيطانية.

5- (مونتيفيوري) في الوجدان الصهيوني والغربي

بقي مشروع (مونتيفيوري) خالدا ومستمرا في المسار الصهيوني، وسطر اسمه كأحد أهم غارسي جذور الدولة الصهيونية في فلسطين، أكمل ابن اخته (يوسف سيباج مونتيفيوري) مشواره في فلسطين، وتقلد منصب نائب حركة أحباء صهيون، ورغم وفاة (موسى) عام 1885 خارج فلسطين التي لم يستوطنها إلا أن الصهاينة نقلوا رفاته هو وزوجته عام 1973 مما يعكس قدر الوفاء له.

في عام 2010، صدر كتاب (Moses Montefiore: Jewish Liberator, Imperial Hero)، أي (موسى مونتيفيوري، محرر اليهود والبطل الإمبراطوري) ليخلد مسيرته، وهو لأستاذة التاريخ الأوروبي الحديث في جامعة أوكسفورد Abigail Green، والتي تنصب أكثر مؤلفاتها على التاريخ الصهيوني واليهودي الحديث، هذا بجانب كتاب

(Diaries of Sir Moses and Lady Montefiore: Comprising Their Life and Work As Recorded in Their Diaries from 1812 to 1883) والذي لا يزال تصدر عنه طبعات جديدة حتى الآن، كما يعاد طبع كتاب (Sir Moses Montefiore: A Centennial Biography) والذي نشر لأول مرة عام 1884 كسيرة مئوية للرجل.

ويصف موقع HuffPost الأمريكي (مونتيفيوري) بأنه (اليهودي الأهم في القرن التاسع عشر)، كما يتم إطلاق اسم (موسى مونتيفيوري) على أكثر من معبد في الولايات المتحدة الأمريكية، مثل معبد (موسى مونتيفيوري) في (بلومنجتون) الأمريكية، ومركز ديني وخدمي يحمل نفس الاسم في مدينة (أبلتون) الأمريكية، كذلك يطلق اسمه على مؤسسات خدمية مختلفة مثل (أكاديمية موسى مونتيفيوري) في شيكاغو، ومستشفى (مونتيفيوري) في نيوريوك.

وفي الكيان المحتل، يطلق اسمه على فندق ومقاطعة في مدينة (تل أبيب)، كما أطلقوا اسمه على (طاحونة باب الخليل) تكريما له ليصبح اسمها (Montefiore Windmill) رغم كونها منشأ عثمانيا في الأساس، وتعج مواقع الانترنت الصهيونية والغربية بالمحاضرات والمقالات الساردة لسيرته والمعظمة لجهوده في تأسيس الكيان الغاصب.

مراجع البحث

1- موسوعة (اليهود واليهودية والصهيونية) للدكتور عبد الوهاب المسيري

2- محاضرات (شهادة دراسات بيت المقدس) للدكتور عيسى بريجية

3- موقع Goodreads.

4- البحث العام على الانترنت لا سيما فيما يخص المؤسسات والمعابد التي تحمل اسم (موسى مونتيفيوري) إلى الآن.